كتاب ذم البخل

﴿ وذم المال ﴾

ماذكرناه فى كتاب ذم الدنيا لم يكن نظراً فى المال خاصة بل فى الدنيا عامة . والمال بعض أجزائها الجدير بافراد البحث عنه . إذ فيه آفات وغوائل والانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى . وهما حالتان . يحصل بهما الاختبار والامتحان . ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحداهما مذمومة والأخرى محمودة . وللحريص حالتان طمع فيما فى أيدى الناس وتشمّر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق . والطمع شرّ الحالتين . وللواجد حالتان إمساك بحكم البخل والشح وانفاق واحداهما مذمومة والأخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرحه بعونه تعالى *

﴿ بيان ذم المال وكراهة حبّه ﴾

قال الله تعالى (يَا أَيُّها الَّذينَ آمنوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُم وَلا أَوْلادُكُم عَنْ ذِكْرِ اللهِ ومَنْ يَفْعلْ ذلِكَ فأولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ) وقال تعالى (إنَّما أَمْوَالُكُم وَأَوْلادُكُم فِتنةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فمن اختار ماله وولده على ماعند الله فقد خسر وغبن خسرانا مبيناً . وقال تعالى (إنّ الإِنْسانَ

لَيَطْغَى أن رَآهُ استَغْنَى) فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم . وقال تعالى (ألْهَاكُمُ التكاثُرُ) وقال صلى الله عليه وسلم (تَعِسَ عَبْدُ الدّينارِ وتَعِسَ عَبْدُ الدّرْهَمِ تَعِسَ ولا انْتَعَشَ وَإذا شِيكَ فلا انْتَقَشَ) بين أن محبهما عابد لهما ومن عبد حجراً فهو عابد صنم أى من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كعابد صنم وهو شرك الا أن الشرك خفى وجلى نعوذ بالله منهما . وقال صلى الله عليه وسلم (يَقولُ ابنُ آدَمَ مَالِي مَالِي وَهَلْ لكَ مِنْ مالِكَ إلاّ ما أكلْتَ فأفنَيْتَ أو لبِستَ فأبلَيْتَ أو تَصدّقتَ فأمْضَيْتَ) وقال صلى الله عليه وسلم (ماذِئبانِ ضارِيانِ ارْسِلاَ فى غَنَمٍ بأكثَرَ إفساداً فيها مِنْ حُبّ الشّرَفِ والمالِ والجاهِ فى دينِ الرّجُلِ المُسلمِ) وقال صلى الله عليه وسلم (هَلاكَ المُكثِرُونَ إلاّ من قالَ بهِ فى عِبادِ اللهِ هكذا وهكذا وقَليلٌ ماهُمْ) وعن يحيى بن معاذ قال الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمّه قيل وما رقيته قال أخذه من حلّه ووضعه في حقه وعنه رحمه الله مصيبتان لم يسمع الأوّلون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله *

﴿ بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم ﴾

اعلم أن الله تعالى قد سمى المال خيراً فى مواضع من كتابه العزيز فقال جلّ وعزّ (إن تَرَكَ خَيرًا) وقال تعالى ممتناً على عباده (ويُمدِدْكُم بأموَالٍ وبنين ويَجْعَلْ لكم جنّاتٍ ويَجْعَلْ لكم أنهارا) وقال صلى الله عليه وسلم

(نِعمَ المالُ الصّالحُ للرّجلِ الصّالحِ) ولا تقف على وجه الجمع بين الذّم والمدح إلاّ بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته حتى ينكشف لك أنه خير من وجه وشرّ من وجه وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شرّ محض بل هو سبب الأمرين جميعاً وما هذا وصفه فيمدح تارة ويذم أخرى *

﴿ بيان تفصيل آفات المال وفوائده ﴾

قدمنا أن المال فيه خير وشرّ فمن عرف فوائده وغوائله أمكنه أن يحترز من شرّه ويستدر من خيره . أما الفوائد فدنيوية ودينية أما الدنيوية فمعروفة . وأما الدينية فتنحصر في ثلاثة أنواع *

(النوع الأوّل) أن ينفقه على نفسه إما في عبادة كالسفر للحج والعلم وإما فيما يقويه على العبادة من مطعم وملبس ومسكن ومنكح وضرورات المعيشة . وما لا يتوصل الى العبادة إلاّ به فهو عبادة *

(النوع الثاني) مايصرفه الى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة . والمروءة ووقاية العرض . وأجرة الاستخدام (أما الصدقة) فلا يخفى ثوابها *

(وأما المروءة) فنعني بها صرف المال الى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراها فان هذه لا يسمى صدقة بل الصدقة مايسلم الى المحتاج إلا أن هذا من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الاخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسخياء فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة وهذا أيضاً مما

يعظم الثواب فيـه فقد وردت أخبار كثيرة فى الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة فى مصارفها . وأما وقاية العرض فنعنى به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء ودفع شرهم وهو أيضاً ـ مع تنجز فائدته فى العاجلة ـ من الحظوظ الدينية . ففى الحديث (ماوَقى بهِ المَرْءُ عِرضَهُ كُتِبَ لهُ بهِ صَدَقَةٌ) وكيف لا وفيـه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العـداوة التى تحمل فى المكافأة والانتقام على مجاوزة حـدود الشريعة . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التى يحتاج اليها الانسان كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته *

(النوع الثالث) مالا يصرفه الى انسان معين ولـكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارّة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين . وناهيك بها خيرا . فهذه جملة فوائد المال فى الدين *

(وأما الآفات) فدينية ودنيوية أما الدينية فثلاث (الأولى) أن تجر الى المعاصى فان المال يحرك داعية المعاصى وارتـكاب الفجور *

(الثانية) أنه يجر الى التنعم فى المباحات والتمرّن عليه حتى يصير مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنـه واذا اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض فى الكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه وذلك من شؤم المال

(الثالثة) أنه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شـغل العبد

من الله فهو خسران وأما الآفات الدنيوية فكثيرة كالخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساب وتجشم المصاعب في حفظ المال وكسبه والفكر في خصومة الشركاء ومنازعتهم . وأودية أفكار الدنيا لانهاية لها . فاذا تريق المال أخذه من محله وصرفه في الخيرات وما عدا ذلك سموم وآفات نسأله تعالى السلامة والعون بلطفه وكرمه *

﴿ بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة والاقتصاد ﴾

ينبغي للفقير أن يكون قانعاً منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى مافي أيديهم ولا حريصاً على اكتساب المال كيف كان لئلا يتدنس بذل الحرص فيجره الى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً) وعلاج ذلك لا يكون إلا بأمور (الأول) الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق وهو الأصل في القناعة فان من كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة وفي الحديث (ماعال من اقتصد) وعنه صلى الله عليه وسلم (ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب) وعنه صلى الله عليه وسلم (الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من عشرين جزءا من النبوة) (الثاني) أن يتحقق بأن الرزق الذي قدر له لابد وأن يأتيه وان لم يشتد حرصه (الثالث) أن يعرف مافي القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الذل والمداهنة.

(الرابع) أن يكثر تأمله فى تتمم الكفرة والحمق ثم ينظر الى أحوال الأنبياء والأولياء ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة الفجّار أو الأبرار فيهون عليه الصبر على القليل والقناعة باليسير

(الخامس) أن يفهم مافى جمع المال من الخطر كما ذكرنا فى آفات المال ويتم ذلك بأن ينظر أبداً الى من دونه فى الدنيا لا الى من فوقه — فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر *

(بيان فضيلة السخاء)

اعلم أن المال ان كان مفقودا فينبغى أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجوداً فينبغى أن يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشحّ والبخل فان السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من اصول النجاة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه أحاديث كثيرة منها ﴿ خُلُقانِ يُحِبُّهُما اللهُ تعالى حسنُ الخُلُقِ والسَّخاءُ وخُلُقانِ يُبغِضُهُما سوءُ الخُلُقِ والبُخلُ وإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا استعملَهُ فى قضاءِ حوائجِ الناس ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم (إنّ من موجباتِ المَغفِرةِ بَذلَ الطَّعامِ وإفشاءَ السَّلامِ وحُسنَ الكلامِ) وقال أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل شيأ على الاسلام الا أعطاه وأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال ياقوم اسلموا فان محمدا يُعطى عطاء من لايخاف الفاقة . وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إنَّ السَّخى قريبٌ من اللهِ قريبٌ من الناسِ قريب من

الجنة بعيدٌ من النارِ وإنَّ البخيلَ بعيدٌ من اللهِ بعيدٌ من الناس بعيدٌ من الجنة قريبٌ من النار . وجاهلٌ سخيٌّ أحبُّ إلى اللهِ من عالمٍ بخيل وأدْوَا الدَّاءَ البُخلُ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ كلُّ معروفٍ صدقةٌ وكل ما أنفقَ الرَّجلُ على نفسهِ وأهلهِ كُتِبَ لهُ صدقةٌ وما وقى بهِ الرَّجلُ عِرضهُ فهُوَ لهُ صدقةٌ وما أنفقَ الرَّجلُ من نفقةٍ فعلى اللهِ خلفُها) وقال صلى الله عليه وسلم (كلُّ معروفٍ صدقةٌ والدَّالُ على الخيرِ كفاعِلهِ واللهُ يُحِبُّ إغاثةَ اللَّهفانِ) وعن الحسن بن علي : الكرم هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل . وعن عبد الله بن جعفر : أمطر المعروف مطرا فان أصاب الكرام كانوا له أهلا وان أصاب اللئام كنت له أهلا . ومن سخاء السلف ماحكي أن ابن عامر اشترى دارا بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهلها فسأل فقيل يبكون لدارهم فقال ياغلام أيتهم فأعلمهم أن المال والدار لهم جميعاً وكان الليث ابن سعد لا يتكلم كل يوم حتي يتصدق على ثلثمائة وستين مسكيناً وعن أسماء بن خارجة أن عبد الملك سأله عن خصال حدث بها عنه فأجابه أسماء : مامددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاماً قط فدعوت عليه قوما الا كانوا أمنّ عليّ مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيأ فاستكثرت شيأ أعطيته اياه وعن الشافعي أن حماد بن أبي سليمان انقطع زره وهو راكب فمرَّ على خياط وأراد النزول فبادره الخياط وحلف عليه أن لاينزل وأصلح له زره وهو راكب فأخرج له صرة فيها عشرة دنانير وسلمها له واعتذر اليه من قلتها

قال الشافعي لاأزال أحب حمادا لما بلغني عنه وأنشد الشافعي لنفسه *

يالهف قلبي على مال أجود به على المقلّين من أهل المروءآت

إنّ اعتذاري الى من جاء يسألني ماليس عندي من احدى المصيبات

وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال يا ربيع اعطه أربعة دنانير واعتذر اليه عني وقام رجل الى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكى فقال له سعيد مايبكيك قال أبكي على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى وروى أن علياً كرّم الله وجهه بكى فقيل مايبكيك فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانني وروى أن رجلا أتى صديقا له فدق عليه الباب . فقال ما جاء بك قال عليّ أربعمائة درهم دين فوزن أربعمائة درهم وأخرجها اليه وعاد يبكي فسألته امرأته فقال ابكي لأني لم أتفقد حاله حتى أحتاج الى مفاتحتي . فرحم الله مَنْ هذه أخلاقهم وغفر لهم *

﴿ بيان ذم البخل ﴾

قال الله تعالى ﴿ ومَنْ يوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأولئكَ هُمُ المُفلِحُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا يَحسَبَنَّ الَّذينَ يَبخَلونَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ هُوَ خَيرًا لهم بَلْ هُوَ شَرٌّ لهم سَيُطَوَّقونَ ما بَخِلوا بِهِ يومَ القِيامَةِ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إيّاكم والشُّحَّ فإنّهُ أهلَكَ مَنْ كانَ قَبلَكُمْ حَمَلَهُمْ على أن يَسفِكوا دِماءَهُم وَيَستَحِلُّوا مَحارِمَهُمْ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ لا يَدخُلُ الجَنَّةَ بَخيلٌ ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم ﴿ إنّ اللهَ يُبغِضُ البَخيلَ في حَياتِهِ السَّخيَّ عِندَ

موته ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق ﴾ وعن علي كرم الله وجهه : سيأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ وقال الشعبي : لا أدري أيهما أبعد غورا في نار جهنم البخل أو الكذب . وقال بشر بن الحارث : البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ إنك إذا لبخيل ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم لوفد بني لحيان ﴿ من سيدكم ﴾ قالوا جد بن قيس الا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم ﴿ وأي داء أدوى من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح ﴾ وكان عمرو يولم على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج وعن علي رضي الله عنه قال : والله ما استقصى كريم قط حقه قال الله تعالى ﴿ فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ﴾ وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال ابن المعتز : أبخل الناس جاله أجودهم بعرضه *

﴿ بيان الايثار وفضله ﴾

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم الى درجات فأرفع درجات السخاء الايثار وهو أن يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج أو لغير محتاج . والبذل مع الحاجة أشد . وكما أن السخاوة قد تنتهي الى أن يسخو الانسان على غيره مع الحاجة . فالبخل قد ينتهي الى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا

يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لأكلها فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة . وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج اليه . فانظر مابين الرجلين فان الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء . وقد أثنى الله على الصحابة رضى الله عنهم به فقال ﴿ وَيُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِم ولو كانَ بِهِم خَصاصَةٌ ﴾ فقد روى أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيأ فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف الى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف الطعام فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لَقَد عَجِبَ اللهُ مِن صَنِيعِكُمُ اللَّيلَةَ إلى ضَيفِكُم ونزلت ﴾ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِم ولو كانَ بِهِم خَصاصَةٌ ﴾ فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى والايثار أعلى درجات السخاء . وكان ذلك من دأب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

قيل خرج عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه اذ أتى الغلامُ بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى اليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر اليه فقال ياغلام كم قوتك كل يوم قال مارأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ماهي بأرض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أشبع وهو جائع قال فما أنت صانع اليوم قال أطوي يومي

هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء ان هذا الغلام لأسخى منى فأشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه *

وقال عمر رضي الله عنه أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخي كان أحوج منى اليه فبعث به اليه فلم يزل كل واحد يبعث به الى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع الى الأوّل *

وقال حذيفة العدوى : انطلقت يوم اليرموك ـ من أيام فتوح الشام ـ اطلب ابن عم لى ومعى شئ من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار إلىّ أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمى الىّ انطلق به اليه قال فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين *

(بيان حدّ السخاء والبخل وحقيقتهما)

اعلم أن المال خلق لحكمة وهو صلاحه لحاجات الخلق . فيمكن امساكه عن صرفه الى ما خلق الصرف اليه . ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه . ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل . فالامساك حيث يجب البذل بخل . والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغى أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا

بالسخاء وقد قيل له ﴿ ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْها كلَّ البسطِ ﴾ وقال تعالى ﴿ والَّذينَ إذا أنفَقوا لم يُسرِفوا ولم يَقتُرُوا وكانَ بَينَ ذلِكَ قَواما ﴾ فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو أن يقدّر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا بدَّ أن يكون قلبه طيباً به غير منازع له فيه ثم أن الواجب بذله قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخيّ هو الذى لايمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحداً منهما فهو بخيل ولكن الذى يمنع واجب الشرع أبخل كالذى يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة أو يؤدّيها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع أو الذى يتيمّم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل *

ومن واجب المروءة ترك المضايقة والاستقصاء فى المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله استقبح منه مالا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ما لا يستقبح مع الأجانب ويستقبح من الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح فى الضيافة من المضايقة مالا يستقبح فى المعاملة وبالجملة فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغى أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة ومن أدّى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرّأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء مالم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات . فاصطناع المعروف

وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فان من طمع فى الشكر والثناء فهو بياع وليس بجوّاد فانه يشترى المدح بماله ومثله من يبعثه عليه الخوف من الهجاء أو ملامة الخلق فانه ليس من الجود لأنه مضطر اليه بهذه البواعث وهى أعواض معجلة له عليه فهو معتاض لا جواد *

﴿ بيان علاج البخل ﴾

اعلم أن البخل سببه حب المال ولحب المال سببان (أحدهما) حب الشهوات التى لا وصول اليها إلا بالمال مع طول الأمل (الثانى) أن يحب عين المال ويلتذ بوجوده وان علم أنه زائد عن حاجاته بقية عمره وقدمنا أن علاج كل علة بمضادّة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر فى موت الأقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر ويعالج قلبه أيضاً بكثرة التأمل فى الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعّد الله به على البخل من العقاب العظيم . ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل فى أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه مامن بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل البخيل من أصحابه فيعلم أنه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه . ويعالج قلبه

أيضاً بأن يتفكر فى مقاصد المال وأنه لماذا خلق فلا يحفظ منه إلا قدر حاجته والباقى يدّخره لنفسه فى الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله . فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك فى الدنيا والآخرة هاجت رغبته فى البذل ان كان عاقلا . فاذا تحركت الشهوة فينبغى أن يجيب الخاطر الأوّل ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر ويخوّفه ويصدّه عنه *

كتاب ذم الجاه والرياء

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول إلا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه . قال الله تعالى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فى الأرضِ ولا فَساداً ﴾ جمع بين إرادة الفساد والعلو فى الأرض وبين أن الدار الآخرة للخالى عن الارادتين جميعاً وقال عزّ وجلّ ﴿ مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أعمالَهم فيها وَهُمْ فيها لا يُبْخَسُونَ أُولئِكَ الَّذينَ لَيْسَ لَهُم فى الآخِرَةِ إلاّ النّارُ وحَبِطَ ماصَنَعُوا فيها وَباطِلٌ ما كانوا يَعْمَلونَ ﴾ وهذا أيضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها . وفى الحديث ﴿ حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أن يُشيرَ النّاسُ إليهِ بالأصابِعِ فى دينِهِ ودُنْياهُ إلاّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ . إنّ اللهَ لا يَنظُرُ إلى صُوَرِكم ولكن ينظرُ إلى قُلوبكم وأعمالِكم ﴾